Al Wasl University Journal - Issue (67) - December 2023
ISSN 2791-2949 (Online)

The Speaking Self in Al-Abbas Bin Al-Ahnaf's Poetry

Dr. Lobna Ali Meftahi - Susa University - Tunisia

https://doi.org/10.47798/awuj.2023.i67.10

Received: 06-12-2021

Accepted: 24-05-2022

Published: 01-12-2023

Corresponding Author:

Lobnameftahi2016@gmail.com

Abstract

Self-construction and its characteristics may need a special philosophy where the self takes its shape, color and all its characteristics with its products and needs that explain the close connection between the self and the other.

Al Abbas bin Al Ahnaf followed the virgin poets' approach (i.e. the poetic method) and paid attention in his ghazal poetry for the moral features even if his spinning is not devoid of some sensual qualities. As woman represented a sensitive point in his life, he restricted his poetry and his love to one for whom he lived tormented. Compatibility with the self that is described as an other formed a prominent feature in Al Abbas bin Al Ahnaf poetry. It was embodied and clearly manifested through the poet's self that emerged in his artistic production. So, the image has matched with that of the other (beloved).

Although the poet's relationship with the other is compatible, her actions such as desertion and deprivation sometimes make her in the opposite side.

The process of compatibility with the other through (the warm place) technique came from the love of inhabiting the place, in the union of two extremes (the ego / you), and between (the ego / place), and the (you / place) because of belonging to the place.

The poet's struggle with time was confined between his anxious fragmented self and his beloved, who is dealing with the pain of separation and slander. Time has become anxious for him, he lives in a deep sorrow and alienation, where the ego is exhausted with all of its means to satisfy what is pressing on it. It makes him move according to the movement of events, till he reaches an idea.

The poet's self in this study was sometimes emotional, as Al-Abbas bin Al Ahnaf's emotion appears in the passion sincerity and the expression purity. Sometimes his hopeful self appears to long for the contact with the beloved who refrain until the poet appears with a broken soul, complaining about the abandonment anguish and longing heartburn.

Keywords: Al-Abbas bin Al-Ahnaf, emotional, broken, hopeful, self

الذات المتكلّمة في شعر العباس بن الأحنف

د. لبنى علي المفتاحي – جامعة سوسة – تونس

ملخص

إن بناء الذات وما تنطوي عليه من خصائص قد يحتاج إلى فلسفة خاصة، لكي تأخذ الذات شكلها ولونها وجميع خصائصها بما يُملى عليها من نتاجات واحتياجات تُفسر الارتباط الوثيق ما بين الذات والآخر.

حيث نهج العباس بن الأحنف منهج الشعراء العذريين، ألا وهو منهج الشعريّة، فاهتم في غزله بالأوصاف المعنوية وإن لم يخل غزله من بعض الصفات الحسيّة، وقد مثلت المرأة نقطة حساسة في حياته، فقد قصر شعره وحبه على واحدة عاش معذباً من أجلها.

إذ شكّل التوافق مع الذات بوصفها آخراً ملمحاً بارزاً في شعر العباس بن الأحنف، وقد تجسدت وتجلت بوضوح من خلال ذات الشاعر التي برزت في نتاجه الفني وقد توافقت صورة الذات مع صورة الآخر (الحبيبة).

كما أنّ علاقة الشّاعر بالآخر علاقة توافقية، ولكن أفعالها التي تصرفها معه من هجر وحرمان ممّا يجعلها في دائرة الضد في بعض الأحيان.

إن عملية التوافق مع الآخر من خلال تقنية (المكان الأليف)، جاءت من حب سكن المكان، في اتحاد طرفي ثنائية (الأنا / الأنتِ)، وبين (الأنا / المكان)، و(الأنت / المكان) نتيجة الانتماء المكاني.

وكان صِراع الشاعر مع الزمن محصوراً بين ذاته القلقة المتشظية وبين حبيبته التي نراها هنا تعالج ألم الفراق والوشاية، وقد أصبح الزّمن قلقاً بالنسبة إليه، يعيش في دوامة الحزن والغربة، حيث الأنا استنفدت كلّ وسائلها لتلبية ما يلح عليها، فهي تجعله متحركاً بتحرك الأحداث، حتى ينتهي عند فكرة ما.

وحضرت ذات الشّاعر في هذا البحث أحيانا عاطفيّة، إذ تظهر عاطفة العباس بن الأحنف في صدق العاطفة ونقاء التعبير، وأحيانا أخرى تظهر ذاته الرّاجية التي ترجو وصال الحبيبة لتمتنع حتّى يظهر الشاعر بذات منكسرة يشكو فيها لوعة الهجر وحرقة الاشتياق.

الكلمات المفتاحية: العباس بن الأحنف – الذات – العاطفية – المنكسرة – الرّاجية.

© 2022 AWU Publishers/Alwasl University. All Rights Reserved.

مقدمة

إنّ التّعامل مع شعر العباس بن الأحنف كان متنوعا، وإن حصل الإجماع على جودة شعره وذيوعه في زمانه، وإعجاب النّقاد والخلفاء والشعراء به فإنّ زوايا النظر قد اختلفت حوله كلّ حسب ذائقته الخاصّة ورؤيته الذاتيّة للشعر. فالمتأمّل في شعر ابن الأحنف يلحظ كتابة إنشائية وسمت شعره طبعته بأسلوب خاص، اعتبره بعض النّقاد والشعراء مرجعا يعودون إليه عند الحاجة.

فابن قتيبة في كتابه النقدي «الشعر والشعراء»، يؤكد أهميّة شعر العباس بن الأحنف؛ إذ يجعله صنوا لعمرو بن أبي ربيعة؛ إذ يقول: «... ويشبه من المتقدمين عمرو بن أبي ربيعة[1]. وفي تشبيه العباس لعمرو بن أبي ربيعة في جودة الشعر ورقته اعتراف بالفضل الكبير لا يخفى على أحد».

وقد أشاد به المبرد في كتاب «الروضة» بقوله: «كان العباس من الظرفاء ولم يكن من الخلعاء، وكان غزلا ولم يكن فاسقا، وكان ظاهر النعمة ملوكي المذهب، شديد الترف، وذلك بيّن في شعره، وكان قصيده الغزل وشغله النسيب، وكان مقبولا غزير الفكر واسع الكلام لم يكن هجاء ولا مدحا».[2]

وقد أيّد المبرد آخرون فيما ذهب إليه بشأنه إذ قال فيه «الجاحظ»: لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاما وخاطرا، ما قدر أن يكثر شعر في مذهب واحد لا يتجاوزه، لأنّه لا يهجو ولا يمدح، لا يتكسب ولا يتصرف، ونعلم شاعرا لزم فنّا واحدا فأحسن فيه وأكثر».[3]

حيث عدت شعريته خير وسيلة لفهم الشعر وسبر أغواره وإدراك أسراره،

١- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، المحقق: أحمد محمد شاكر، ج٢، ص٧٠٧

٢- أبو العباس المبرد:الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت دط، دت، ص ٦١

٣- الجاحظ: البيان والتبين، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ط٥، ١٩٨٥ص ٢٤٣

حتى ظل هذا المصطلح دون بقية أدوات التعبير الأخرى مثار اهتمام النقاد والدّارسين في مختلف العصور والثقافات واللّغات؛ إذ عدها أحد الباحثين «كيانا يتعالى على التاريخ»،[١] فهي جوهر الإبداع الشعري ووسيلته الفنيّة التي تعبر عن ماهيته وكنهه، وإحدى المكونات الأصلية لبناء القصيدة.

ولهذا يعد منهج الشعريّة من أخصب المناهج المطروحة للنقاش في مجال الدّراسات الأدبيّة والنقديّة على حدّ السّواء، ذلك لأنّها شديدة التعلّق بنظرية الأدب وكذا النقد الأدبي. وبناء على هذا ارتأينا أن نبني بحثنا عليه، آملين في الوصول إلى نتائج قد تكون ملمّة بأغلب مظاهر الشعريّة في ديوان العباس.

وعلى هذا نطرح إشكاليتنا والتي سوف ندرسها في بحثنا هذا ألا وهي:

كيف تبرز الذّات المتكلّمة في شعر العباس بن الأحنف ؟

وهل تعكس هذه الذّات عن نفسية الشّاعر في كلّ حالة من حالاتها؟

يعتبر مبحث الذات المتكلّمة من المباحث الدّقيقة إذ تبدو رهاناته شائكة متشعبة وأصول النظر فيه متفاوتة. فهو في التراث العربي القديم مغمور، لا نكاد نجد عدا علوم الكلام، ما يذلّل صعوباته؛ والكلمات في معاجم الاصطلاح تدور على نفسها، ولا نظفر منها بأكثر ممّا ورد عند «الجرجاني» في «شرح المواقف» من حدّ للذات بأنّها الشيء القائم بنفسه أو قوله في «التعريفات»: «إنّ الذاتيّ لكلّ شيء ما يخصّه وما يميّزه عن جميع ما عداه»[٢].

ويمكن حدّ الذات بكونها تتمثّل في كفاءة المتلفّظ على أن يتنزّل في خطابه ذاتا»[٣] تتشكّل وتنمو في غمار تجربة الحياة يجلوها الإنسان في بحثه الدؤوب عمّا

١- الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي، ط١ / ١٩٩١، المركز الثقافي العربي، ص ٧

2- J.C . Poriente : langage et l'individuel, A.Colin, paris, 1973, p 168

3- Problemes de linguistique générale,t1, p 259

يجب من الكون والفعل باعتباره عاملا مسؤولا»[١].

وتدلّ عليها في الكلام عناصر هي «الأدلّة التي تمكّن من نقل اللّغة إلى خطاب»[٢].

كما تزعم الماركسية أنّ الذات وهم بورجوازي؛ وتروم البنيوية أن تجرّد اللّغة من الذّات»[٣]

ولسنا نزعم أنّ الذات هي الأصل ولكنّنا نصرّح مع «أوريكيوني» وليس هذا يعني أنّنا نلتزم بمنهجها ونحصر عملنا في ما نقرّره بل ربّما توسّلنا بمن يخالفها النّظر «كلّما يسرت لنا أدوات التحليل إضاءة النّص الذي نحن بصدده؛ أنّ الفعل القولي في مجمله ذاتي» [٤]

وليس ثمة من خطاب في مأمن من سلطة الذات وإن اختلفت القرائن الدّالة عليها»[٥]، وإنّ تفاوتت، على قدر تحقّق الاختيار في الخطاب»[٦] وليس جريان ضمير الأنا شرطا لازم الوجود لجلائها»[٧].

لذلك فإنّ الدارس مدعوّ إلى أنّ يتدبّر الإجراءات اللسانية يخلّف بها المتلفظ آثاره في ملفوظه».[٨] ويحدد امتلاكه للغة». [٩]

١- الشريف الجرجاني، التعريفات المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٠، ص ٤٥

٢- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع ، ٢٠٠١، ص ١٠٧٩

3- H.Meschonnic, politique du rythme, politique du sujet : ed rerdier lagrasse, 1995, p 252

4- C,Kerbat -orecchion : L'énonication : de la subjectivité dans le langage Armand colin, paris, 1980 p 69

٥- المرجع نفسه، ص ١٧٠

٦- المرجع نفسه، ص ١٥٢

٧- المرجع نفسه، ص ١٧٠

٨- المرجع نفسه، ص ٣٢

٩- المرجع نفسه، ص ٢٢٥

ويغدو فعل التلفظّ في أبسط وحداته، فعلا يعلن الذات، وليس يعني هذا أنّ وعي الذات بذاتها هو الذي يحقّق كينونتها.

وفي مجال التعبير الأدبي تأخذ هذه القضية - الذات المتكلمة - بعدا أساسيا، إذ إنّ من النقاد من أرجع فضيلة الأدب إلى «كونه معبّرا عن الذات وأنّه يمثّل مع التّجربة كلاّ متماسكا يكاد يكون فيه الأسلوب قد يكتسب قوته من طبيعة الشّخصية التي استخدمته».[١]

ومن البديهيات المقررة لدى الأسلوبين، أنّ الأساليب تختلف تبعا لاختلاف المنشئين، إذ نرى لكلّ منهم طابعا خاصّا في تفكيره، وتعبيره، وتصويره ولذلك يصح القول إنّ الأسلوب هو الأديب، أو هو الرجل إلى نحو من العبارات»[٢].

كما ارتبط وجود الإنسان منذ الأزل بالذات لأنّها وسيلة تمرير أفكار ورؤى ومواقف فهي ذات وموضوع في الوقت نفسه: ذات لأنّها تقوم بفعل إبلاغي له مرجعية واقعية أو شبه واقعية، وموضوع لأنّها تغدو في مجملها غاية أو هدفا، والتعبير عن هذه الذات التي لا تقتصر على ما يعتمد داخل النفس الإنسانية وإنّما يتعداها إلى الخارج»[٣]. وباعتبارها كذلك أحسن وسيلة للتعبير عن الذاتية وبالتحديد ذلك الكل النفسي الذي يضمن استمرارية الوجود الداخلي للإنسان حيث نجد «بنيفست» يعرف الذاتية بقوله: «هي قدرة المتكلم على أنّ يفرض نفسه كفاعل»[٤].

لقد شكّل حضور الأنا المتكلّمة في الشعر العربي ظاهرة أدبية شغلت اهتمام

١- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، قسم:البلاغة العربية. اللغة: العربية. الصفحات: ٣٩٣. حجم الملف: ٨,٥٣، ص ١٦٠

٢- أحمد الشايب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، المؤلف: د. أحمد الشايب الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة تاريخ النشر: ١٤١١هـ ص ١٢١

٣- علي أحمد أدونيس، الثابت والمتحول، ط٣، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٨٢

4- Benveniste, Problemes de linquistique générale t1, Gallimard paris, 1966, p 259

النقاد. فبغضّ النّظر عن توظيف الأنا في الشعر في هذا الزمن أو ذاك، تظل دلالات الأنا متشابهة لأنّها تحاكي الآخر في أي صورة من الصور، مما جعل الرؤى النقديّة تتشابك لمحاولة الخروج بقراءات أثرت في هذا المجال واستوعبت تحوّلاته.

ولأنّ موضوع الذّات المتكلّمة هو الموضوع الذي احتلّ السّاحة الأدبيّة، فإنّا أردنا الوقوف على أبواب هذا الموضوع في شعر «العباس بن الأحنف» لأنّ ديوانه لا يخلو ممّا يشير إلى الذّات المتكلّمة في كلّ حالاتها، ويمكن دراسة ذلك في النقاط الآتية:

١ – التعبير عن الذّات العاطفية

عذري المقاصد، حضري الفكر والخيال والبيان، لعلّها القولة المناسبة التي يمكن أنّ نصف بها «العباس بن الأحنف شاعر الحب والغزل العذري فقد عرف العباس بن الأحنف بشعره الغزلي الفريد فقد تغزل بحب وشوق نابع من الأعماق غزلا عفيفا يرى فيه المرأة روحا وقلبا وليس جسدا كما تغنّى غيره من الشعراء.

ولعلّ من أبرز ما يدلّ على ذلك أنّ الشاعر عباس بن الأحنف قد تغنّى في شعره هجر الحبيبة التي تترك فيه لوع وحيرة ولا يبدلها بامرأة أخرى حتى تعود يقول في هذا السياق:

هجرتنا يا ملول *** والهجر مر ثقيل[١]

وهنا يصف الشاعر هجر الحبيبة بالمر الثقيل فحالته العاطفية وحبه المتيم لا يصبر على هجر المعشوق.

استغل الشاعر إلى جانب عاطفته اللّغة ليدل على الذاتية – صاحب القول الشعري – وذلك بتوظيف المؤشرات النحوية الدالّة (ضمائر منفصلة، متصلة ومستترة) وأما الطرف الثاني المتلقي للكلام فورد بمؤشرات ضمير اللاذاتية «الغائب» إذا الأنا في موضوع افتتان الشاعر بحبيبته فنراه يسعى لإثبات حضوره أمام الأنت» الأنا هو الذي يقدم له وجودا ويمدحه في عالم الخطاب.

ويبقى المتكلم له دلالة ثابتة يحيل به على الشاعر العاشق «قلبي»

صاغ قلبي لك حبا من ذهب *** لم أشب يا سحر صدقي بالكذب»[٢]

أما المتلقي فيتمثل في الأنثى المعشوقة التي تتغير صورتها باستمرار وبين الأنا والأنت تتشكّل قوة عاطفيّة وتفاعل داخلي يغير من مزاج الطرفين ويحقّق بالتّالي

١- ديوان العباس بن الأحنف – تحقيق: عاتكة الخزرجي. (١ تقييمات). مؤلف: كاتب غير محدد. قسم:الشعر والشعراء. اللغة: العربية، ص٥٥

٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٤٧

الفاعلية الانفعالية.

ويقول العباس بن الأحنف غير مبال بالعيوب:

فمن عاب هوى «فوز» *** وعباس فقد خابا»[1]

تظهر ذات الشاعر في هذا القصيد غير مبال بالكلام الذي يدور حول حبه وحب معشوقته طالما يعيش الهوى مع فوز، فهو غير مبال بالغير.

حالة الشاعر العاطفية وحبه المتيم لفوز جعلت منه عاشقا صديقا لليل يناجي هجر حبيبته

ألقيت بين جفون عيني فرقة *** فإلى متى أنا ساهر يا راقد ؟

وإلى متى أبكي وتضحك لاهيا *** وأدني في الهوى وتباعد ؟

وإلى متى أنا هاتف بك في دجى *** أبكي إليك وأشتكي وأناشد ؟[2]

في هذه الأبيات تبرز الأنا المحبة للشاعر الذي يفدي الحبيب نفسه، فليس له عن حبه غنى، ورغم ما أصاب أناه من شقاء وتعب، فإنّه لم يتوقف عن حبه فسعادته تتوقف على ذلك الحبيب، وهكذا فإنّ الأنا المحبة تضحي بنفسها من أجل حب ذلك الآخر حتى ولو جفا أو أذى لأنّ الحب الحقيقي يكون في التضحية والصبر.

يعبر الشاعر عن العواطف المتعففة والملتهبة في وقت واحد، فالشاعر الذي يقترن بحبيبته وجد في الشعر تعويضا يطفىء به لهيب حبه ويرتفع فيه عن غرائزه.

وتمتاز عاطفة العباس بن الأحنف بأنّها دائمة لا تخمد ولا يصيبها الملل ولا يقف بوجهها أي ظرف كان.

اختصم العينان والقلب *** قالا جميعا: ما لنا ذنب

١- ديوان العباس، ص ٨٥
٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٣٧

فقلت: نفسي ذهبت عنوة *** بينكما هذا وذا لعب

فقلت للعين: سمعت الذي *** يحكيه عن ناظرك القلب

فاستغربت عند مقالي لها *** وكن من خجلتها السكب[١]

لقد أكسب الحوار الأبيات طرافة كما أسهم في بعث الإثارة والتشويق لدى المتلقي، إذ يقف أمام حزمة من الصراعات التي شكّلت فضاء النص وغطت مساحة تعبيرية واسعة، فقد تفاعلت مجموعة من الحواس، فالعين هي التي ترى المحبوبة؛ فتكون هي الأداة الأولى في سبب التعلق بها والعين بدورها تهتف بالقلب مقر العواطف، فيتمكن حبها من الأنا الشاعرة.

ومن جهة أخرى يقف الشاعر وكأنّه طرف ثالث يدخل في هذا الحوار، كلّ ذلك ليشير إلى حالته النفسية المؤلمة وكأنّه وصل إلى درجة الهذيان وفقد السيطرة على ذاته.

أمّا نهج العباس في تصوير جمال فوز فهو متوغل في التعمية، ولجأ فيه إلى تصويرها بما لا يطوله البشر من جمال، ويكتفي فيه بجعلها آية للناس، فهي القمر نورا، ولم يخلق لها مثيل بل لكأنّها خلق آخر.

يا من يسائل عن فوز وصورتها *** إن كنت لم ترها فانظر إلى القمر[٢]

يتغزل الشاعر في هذا البيت بالحبيبة فهو يخاطب العامة ليبرز لهم جمال حبيبته فوز من جهة، ومن جهة أخرى يعبر عن ذاته العاطفية التي تشع حبا لحبيبة فاق جماله جمال البشر ليصل لروعة القمر.

إذ يقر العباس بن الأحنف لحبيبته أنّه لا يبيح قلبه إلاّ لها، ولا يرى في غيرها ما يحرك كوامن الهوى، كيف وهي تجتاح فؤاده ولا مكان فيه لامرأة سواها.

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص١٠٢.
٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص١١٤.

٢– التعبير عن الذات الرّاجية

إنّ لغة العباس بن الأحنف لا تحيلك إلى شيء خارجها؛ رقيقة سلسة شفافة موحية بإيقاع ألفاظها، لا يتكلف قارئها عناء البحث عن معنى شارد أو صورة معقدة، بل ينساق معها دون إعمال جهد، ولا ريب في أنّ هذا أثر من أثار حالته الحضارية والفكرية. وقبس من نور حبه الذي نجده متغزلا بحبيبته تارة ومترجيّا وصالها تارة أخرى.

يقرّ العباس بن الأحنف أنّ المحب لا يستطيع اجتنابا لحبيبته وإنّ أراد فهذه قاعدة لا يغيرها، ولهذا تراه في هجره فوزا ولا أظنه فعل حقا وهو لا يروم هجرها أبدا ولا يحاوله.

وقلت للنفس افتكي في الهوى ✱✱✱ فإنّما الراحة في الفتك[١]

حضر العباس بن الأحنف في معظم قصائده خاضعا للحبيبة وما يأتي منها من هجر وألم وبكاء. فالشاعر على حد عبارة «حسن درويش»، خاضع للحبيبة، والخضوع هو الطاعة العمياء التي لا تقبل الجدل والميل إلى كلّ ما يحبه المحبوب وإيثار رضاه وتجنب سخطه».[٢]

وأبكي إذا ما أذنبت خوف صدها ✱✱✱ وأسألها مرضاتها ولها الذنب[٣]

تبدو ذات الشاعر خاضعة راجية للحبيبة ويطلب رضاها ووصلها والفوز بحبها. ويخشى الشاعر غضب الحبيبة لذلك تراه معتمدا رقة في أسلوبه والتعبير عن عشقه، فهي تمثل رقة الحاضرة، وتهذيب الحضارة للطباع والأحاسيس، وذوق ثقافة المترفين في علاقاتهم بغيرهم من فئتهم.

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص١٢٢
٢- العربي حسن درويش، العباس بن الأحنف شاعر العشق والغرام، دراسة نقدية. Front Cover. العربى حسن درويش. مكتبه النهضة المصرية، ١٩٩١ ص ٨٩
٣- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٨٣

ظلوم يا ظالمتي إنّما ✱✱✱ قلت لك الحق فلا تغضبي [١]

فرغم ظلم الحبيبة للحبيب فهو يطلب منها ويترجاها أن لا تغضب ولا ريب في أنّ تلك الرقة وذلك التهذيب يمثلان في مقطعاته المختارة بطريقة عجيبة، فالنهي يصبح استعطافا كما يضحي كذلك الاستفهام وسيلة للرجاء مرة ويظهر ذلك في قوله:

ماذا عليها أنّ يلم ببابها ✱✱✱ ذو حاجة بسلامة معاهد ؟[٢]

تظهر ذات الشاعر راجية طالبة الوصال بكل الأساليب، حيث يوظف العباس بن الأحنف ذكر الموت في تليين قلب ظالمته، فيستعطفها لتمنحه وصالها قبل حلول الأجل بساحته

أظلوم حان إلى القبور ذهابي ✱✱✱ وبليت قبل الموت في أثوابي

جرعتني غصص المنية بالهوى ✱✱✱ أفما بعيشك ترحمين شبابي»[٣]

يترجى الشاعر الحبيبة أنّ تمنحه الحب والعشق قبل المنية.

قصائد العباس بن الأحنف مشعة بالأساليب واللّغة والتعابير الجياشة المرهفة الحسية، الغزلية. هذا في ظاهرها، لكن المتمعن في باطنها يلحظ ذات الشاعر المتكلّمة؛ ذات راجية خاضعة للحبيبة ترجو وصالها بكل الأساليب والطرق ليلين قلب حبيبته وتعطف عليه وترحم رجاءه ومن قوله ذلك:

ولو أنصفتني في المودة والهوى ✱✱✱ رضيت ويرضيني أقل من النصف

فيا رب ألف بين قلبي وقلبها ✱✱✱ لكيلا تعدي بي أمامي ولا خلفي[٤]

نلحظ معادلة صراعية في البيتين يقف فيها الشاعر مقابل الطيف، فالطيف

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٧٤

٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٥.

٣- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٨٦.

٤- ديوان العباس بن الأحنف، ص ١٤٨.

يسري آخر الليل فيبعث السّهاد لدى الشاعر ويوقظ كوامنه، ويجعله في حالة ترقب وقلق، حين يتسلل الوسواس إلى نفسه. أمّا المحبوبة فهي تغط في النوم، ومن هنا فالشاعر لا يملك حيلة إلاّ أن يجهر بالشكوى إليه سبحانه وتعالى أن يؤلف بينهما، إذ لم يجد سوى التّوسلات والآهات فهي سلاح العاجز وعلامة الملتاع.

الموت يا فوز خير لي وأروح لي *** من أن أعيش حليف الهم والسهد»[1]

الموت مكروه عادة من البشر، يغدو ضمن السياق النصّي وسيلة مقبولة ومفضلة لدى الشاعر، لأنّه ينقذه من الهم والأرق. وهذا الأسلوب ناتج عن المكابدة التي يعيشها الشاعر، فقد صار يرى الموت محببا، وذلك وفق حالته النفسية والانفعالية الناجمة عن غياب المحبوبة، في حين أنّ الحياة لم تعد لها قيمة في ظل هذا الغياب.

جاءت حالة العباس بن الأحنف في جلّ قصائده ذاتا راجية خاضعة خاشعة لكسب حب الحبيبة؛ فقد بكى وترجى واستعطف، كلّ هذا من أجل إرضاء المعشوقة.

أبكي إذا سخطت حتى إذا رضيت *** بكيت عند الرضا من خشية الغضب

أتوب من سخطها خوفا إذا سخطت *** فإنّ سخطت تمادت ثم لم تتب

فالحزن إن سخطت والخوف إن رضيت *** أن لا يتم الرضا فالقلب في تعب»[2]

يبكي الشاعر حتى ترضى حبيبته ويخاف أن يغضبها فتبتعد عنه.

ظهرت ذات الشاعر ذاتا معبرة متكلّمة عن حالته الراجية لوصل الحبيب، فوصل به الرجاء حدّ البكاء وتمني الموت، وهذا الخضوع والترجي الذي يظهر على الشاعر إنّما هو دلالة على العشق والحب الذي يكنه الشاعر لمعشوقته، فهو يخضع لرضاها ويبكي لكسب حبها ويرجو وصالها؛ هذا هو الحب العذري الذي نلحظه في شعر العباس بن الأحنف.

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٠١.
٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٣١.

٣- التعبير عن الذات المنكسرة

الغزل شكل من أشكال التعبير عن خلجات النفس الإنسانية وعن المشاعر الفياضة التي تنبعث منها حين يمتلكها سلطان المحبة وتتأجج فيها العواطف، فهو الغزل يصور أحوال النفس بما لا يستطيع أنْ يصورها غيره من الموضوعات، لأنّه يكشف عن دواخل المحب وسرائر المحبوب، وينبع من عاطفة صادقة.

إنّ الألم من أكبر الأحاسيس التي تحاصر الأنا، والتي تحاول النفس جاهدة التخلص منها، وقد يكون البوح أحد الوسائل للتخلص من تلك الطاقة النفسية المكبوتة في الأنا العميق.

أزين نساء العالمين أجيبي *** دعاء مشوق بالعراق غريب

أيا فوز لو أبصرتني ما عرفتني *** لطول نحولي بعدكم وشحوبي

أزوار بيت الله مروا بيثرب *** لحاجة مبتول الفؤاد كئيب[١]

بدت حالة الشاعر في هذه الأبيات ذاتا متألمة، إذ التجأ إلى أسلوب النداء أي كان ليشفق ويرى حالته المنكسرة الضعيفة جرّاء هجر الحبيبة وفراقها.

فالأنا العاشقة أصابها الهم وتعبت من الحياة وينتابها الحزن الدائم حتى أصاب جسمها الهزال، وذلك بسبب الآخر المعشوق.

فالشاعر تحترق أناه وهو دائم البكاء والنحيب، لأنّه عاشق ولهان، ودموعه على الحبيبة هي دليل إخلاصه، غير أنّ هجر الحبيب أحدث حروبا وصراعات داخل الأنا زادت من الألم كلّما تذكرت الحبيب وهجرانه.

أصبحت أذكر بالريحان رائحة *** منها فللنفس بالريحان إيناس[٢]

فالشاعر يبتهج للريحان ويأنس به، ربما لأنّ الريحان يحمل إشارة الخير. والحقيقة أنّ الشاعر يسقط عالمه النفسي الخاص به على الطبيعة، ولا عجب في

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٤١.
٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢١٤.

هذا؛ فهو عذري تنتابه موجات الألم والقهر والغربة بسبب حبه الذي لا يستطيع أنّ يبوح به، فكان بحاجة إلى الطمأنينة التي يأوي إليها، فوجد ضالته المنشودة في الريحان الذي يوحي ولو ظاهريا بالراحة.

حالة الشاعر المنكسرة جعلت منه هاجسا يعيشه في ذاته، حيث تجده ذاتا متكلّمة وفي نفس الوقت تجده المتلقي ذاته، فـ«الأنا» الشاعر شخصيتان؛ شخصية الذات المتكلّمة، وشخصية المتلقي «عباس»، ممّا يدل على التشرد والضياع اللذين يعيشهما الشاعر:

أصرف فؤادك يا عباس ملتفتا *** عنها وإلاّ فمت من حبها كمدا[1]

إنّ اللّغة التي شكّلت صرح القصيد، تكشف لنا عن القلق القابع في لب الشاعر وكيانه. يخاطب الشاعر فؤاده تعبيرا عن لا إرادية الحب الذي لم يعد الشاعر قادرا على الانفكاك منه.

فإنّ القصيدة فيها تصور عواطف مجرّدة في العشق، وتعبر عن حالات شعورية، متجانسة في ذات الشاعر، تمثل الحرمان والشوق، وتصور الآلام والذكريات الحزينة المحرومة وحالات الوجد واللوعة.

إنّ المتتبع لماهية العشق عند العباس بن الأحنف يدرك أنّ دلالاته ذات اتجاه روحاني متّصل في أساسه بالرّوح من حيث هي قيمة مطلقة، لا بالجسد من حيث هو شهوات ونزوات وغرائز. لذلك تجده في معظم قصائده ذاتا منكسرة تشكو الهجر وتبكي الشوق، ذاتا لا تكترث بحالتها البائسة بقدر ما تبحث عن كسب حب الحبيبة وعدم غضبها رغم ظلمها وهجرها الدّائم.

وكنت إذا كتبت إليك أشكو *** ظلمت وقلت: ليس له جواب»[2]

يلح العباس بن الأحنف بشكل خاص على امتناع فوز عن رد رسائله، فيحترق قلبه شوقا وعنادا، ويحاول بكل ما أوتي من بيان واحتيال لحبه، أن يثير

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص٢٥٦.
٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص٢٩٦

فيها العطف والرأفة بحاله.

إذ تظهر الذات منكسرة تعاني الظلم مع الحرمان والشوق، إجلالا، فلا تكترث بذلك، بل تغضب، وترى هذا المعنى عند العباس بن الأحنف واضحا.

فبكاء العباس بكاء رقيق لا ينهي عينه من سفح الدموع، ولا يكترث لمرآه أمام غيره، فليس للبكاء أثر في رجولة الرجل ولا هو سمة خاصة بالمرأة.

يا من لدمع على الخدين مهراق *** ومن لقلب دخيل الهم مشتاق[١]

يقرّ الشاعر بتمزقه واضطراب وجدانه. ومن ثمة تتمزق الذات وتستغيث عن حالتها الحزينة.

استغل العباس بن الأحنف قصائده الغزلية ليخرج شحنته الوجدانية، ويظهر الوجد المبرح ليرسم معالم تجربته الذاتية:

أبكي ظلوم وأبكي ما فجعت به *** منها وأبكي على قلبي الذي ذهبا[٢]

تبكي الذات المتكلّمة حالتها المتأزمة والمتوجعة، تبكي وتكرر البكاء على نفسها وعلى قلبها الذي ذهب من هجر وقسوة وظلم الحبيبة. ذات الشاعرة ذات منهزمة لا حيلة لها إلاّ البكاء علّها تجد راحة في ذرف الدموع المحرقة.

ولقد قلت والهموم ركود *** ودموعي على الرداء تجود[٣]

يخاطب الشاعر نفسه والهموم تسوده والدموع تنهمر، فالحزن والأسى أضحيا جزءا من الحالة الفكرية والحالة التي يعيشها الشاعر، ما دام في مجال المقابلة حبها المذوق وحبه الصريح.

رغم بعد الحبيبة وهجرها إلاّ أن حبها يشتد لدى العاشق حتى أهلك جسمه، وهذا دليل على وفاء العاشق لحبيبة واحدة حتى ولو كانت هي بخيلة يرفض الشاعر إبدالها بأخرى.

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص ١٧٨
٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٧٥
٣- ديوان العباس بن الأحنف، ١٧٨.

خاتمة

إنّ القراءة التي يمكن الخروج بها من استعراض الذات المتكلّمة بأوضاعها المختلفة المعتزة والمحبة والمتألمة والرّاجية في شعر العباس بن الأحنف هي أن «الأنا» تتأثر بأوضاع داخلية مصدرها الذات والتعلق بالماضي أو قلق من المستقبل أو بأوضاع خارجية تصطدم بها لأنّها توقعها وطموحها. وقد توقفنا في هذا البحث على أهم النقاط، ومن أهمها:

- الأنا مؤثرة أو متأثرة بذلك الآخر الذي قد يكون على توافق أو صراع.
- صياغة اللّغة وقوتها.
- ألفاظ عنيفة غير متكلّفة، فكل من يقرأها يفهمها نظرا لكثرة عذوبة ورقة جمال موسيقاه وأشعاره.
- جذب المستمعين والقرّاء لأسلوبه السلس الشيّق في رواية الأحداث والوقائع نظرا لما تكنزه من مشاعر وأحاسيس يخطف بها قلب القارئ أو المتلقي لشعره.
- تشكيل اللغة حسبما تقتضيه حاجته لتقديم رؤاه وأحاسيسه بالطريقة التي يراها أكثر تأثيرا من غيرها.
- اختار الألفاظ المستقرة في رصيده المعجمي.
- القدرة الفائقة على توزيع الكلمات وترتيب أجزاء الجملة لغايات فنيّة وجمالية، وبشكل يجعل المتلقي يرى العباس وهو يواجه الحياة من خلال اللغة.
- الانحراف في الأسلوب من أجل غايات صوتية وإيقاعية فإنّه يتصرف في تركيب الجمل من أجل نجاحها، فيقدم ويؤخر حتى تستقر القافية في الموضع المقرر لها.

قائمة المصادر والمراجع

المصدر:

- ديوان العباس بن الأحنف – تحقيق: عاتكة الخزرجي. (١ تقييمات). مؤلف: كاتب غير محدد. قسم:الشعر والشعراء. اللغة: العربية.

المراجع العربية

- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، المحقق: أحمد محمد شاكر، ج٢.
- أبو العباس المبرد:الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت دط، دت.
- أحمد الشايب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، المؤلف: د. أحمد الشايب الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، تاريخ النشر: ١٤١١هـ.
- الشريف الجرجاني، التعريفات المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٠.
- العربي حسن درويش، العباس بن الأحنف شاعر العشق والغرام، دراسة نقدية. Front Cover. العربى حسن درويش. مكتبه النهضة المصرية، ١٩٩١.
- علي أحمد أدونيس، الثابت والمتحول، ط٣، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢.
- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع ، ٢٠٠١.
- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، قسم:البلاغة العربية. اللغة: العربية. الصفحات: ٣٩٣. حجم الملف: ٨,٥٣.

المصادر الاجنبية

- Benveniste, Problemes de linquistique générale t1, Gallimard paris, 1966.
- C,Kerbat -orecchion : L'énonication : de la subjectivité dans la langage Armand colin, paris, 1980.
- H.Meschonnic, politique du rythme, politique du sujet : ed rerdier lagrasse, 1995.
- J.C . Poriente : langage et l'individuel, A.Colin, paris, 1973.
- Problemes de linguistique générale, t1.

List of sources and references:

The Source:

- Diwan Al-Abbas bin Al-Ahnaf - Investigation: Atika Al-Khazraji. (1 ratings). Author: Unidentified author. Section: Poetry and Poets. Arabic.

Arabic references:

- Ahmed Al-Shayeb, an analytical rhetorical study of the origins of literary styles, the author: Dr. Ahmed Al-Shayeb Publisher: Al-Nahdi Egyptian Library, Cairo Publication date: 1411 AH.
- Al-Sharif Al-Jerjani, Detective Definitions: Edited and corrected by a group of scholars under the supervision of the publisher, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1, 2010.
- Al-Arabi Hassan Darwish, Al-Abbas bin Al-Ahnaf, Poet of Love and Love, a critical study. Front Cover. Arab Hassan Darwish. The Egyptian Renaissance Library, 1991.
- Ali Ahmed Adonis, The Constant and the Mutable, 3rd Edition, Dar Al-Awda, Beirut, 1982.
- Muhammad Al-Shawsh, The Origins of Discourse Analysis in Arabic Grammar Theory, Manouba University, Arab Distribution Corporation, 2001.
- Muhammad Abdul Muttalib, Rhetoric and Stylistics, Section: Arabic Rhetoric. Arabic. Pages: 393. File size: 8.

Foreign sources:

- C, Kerbat -orecchion: The enonication: of subjectivity in the language Armand Colin, paris, 1980.
- H. Meschonnic, politics of rhythm, politics of the subject: ed rerdier lagrasse, 1995.
- J.C. Poriente: language and the individual, A. Colin, paris, 1973.
- General linguistic problems, t1.